الباب التاسع عشر
في فلتات اللسان ،
ومشاهد لا تليق بالمسلمة

الثرثرة والخوض فى أعراض الناس

الثرثرة معناها : الحديث المتواصل من غير فكر ولا رويّة ، وهى من عادات النساء اللاتى لا يجدن من العمل ما يشغلهن عنها ، ولا يكون لديهن من الوازع الدينى ما يمنعهن عن القيل والقال فى حق النساء والرجال ، ويشترك معهن فى هذه العادة بعض الرجال لخفة عقولهم ، وفساد قلوبهم ، وكثرة مجالستهم للنساء ، وغير ذلك من الأسباب التى لا محل لبسطها هنا .

وهذه عادة سيئة نهى الله عنها ، وحذر المسلمين والمسلمات منها ؛ لما يترتب على التمادى فيها من الأضرار البالغة والأخطار الجسيمة ، والكبائر الموجبة لغضب الله تعالى وعذابه فى الدنيا والآخرة .

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾** ﴾ [**الحجرات** : ١١ ، ١٢] .

فقد نهى الله- تبارك وتعالى- فى هاتين الآيتين عن خلائق مرذولة تستقبحها الفطر السليمة والطبائع المستقيمة :

(١) نهى عن السخرية وهى احتقار الأخ لأخيه ، والاستهزاء به والاستخفاف بشأنه، والتعالى عليه .

وقد تكون السخرية بالأقوال والأفعال ، وقد تكون بالقلب .

والنهى فى الآية يعم هذه الأنواع كلها ، فقد يكون المحتقر أعظم قدراً عند الله وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له.

(٢) ونهى عن اللمز ، وهو الطعن فى الأنساب والأحساب ، والذم والقدرات ، وغير ذلك .

وقد أعد الله للهماز واللماز عذاباً شديداً يوم القيامة ، فقال : ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾، والهمز : هو الطعن بالأفعال ، واللمز: الطعن بالأقوال .

(٣) ونهى عن التنابز بالألقاب ، أى التداعى بالألقاب المذمومة التى يكره أصحابها أن يتنادوا بها ؛ لما فى ذلك من إحراج لهم وإثارة لغضبهم ، واحتقار لشأنهم ، فهذا من الفسوق المنافى للإيمان ، كما أفاد قوله -جل شأنه - : ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ أى بئس الفسوق اسماً يطلق على المرء بعد إيمانه .

فإن هذه الأفعال تتنافى مع الإيمان الصحيح ، فالإيمان عقيدة وعمل، وأخلاق وسلوك ، فهل يليق بالمؤمن أن يسمى فاسقاً بعد أن صار مؤمناً داخلاً فيمن خاطبهم الله بقوله فى هذه الآية وغيرها : ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ .

وقد فتح الله باب التوبة لمن تاب وأناب وكف عن مثل هذه الأخلاق المنكرة.

(٤) ثم نهى الله -عز وجل -عن سوء الظن الذى يؤدى بالإنسان إلى ارتكاب أفعال لا تحمد عواقبها .

فهو يؤدى قطعاً إلى السخرية واللمز والتنابز بالألقاب ، والتجسس والغيبة والنميمة ، والخصام والمكر السيئ ، والحسد والحقد ، وغير ذلك من أنواع الإثم .

روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة -رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال : «إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ، ولا تحسسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً».

فمن الواجب عليك - أيتها الأخت المسلمة - أن تحملى كلام إخوانك وأخواتك وأفعالهم على محمل حسن ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ، ولاتسمحى للهواجس النفسية ، والوساوس الشيطانية أن تسيطر على عقلك وقلبك فتبادرى باتهامهم بالحماقة وسوء التصرف ، والتقصير فى حقك ، والتهاون فى شأنك وغير ذلك من التهم التى يكونون فى الغالب برآء منها .

قال عمر بن الخطاب -رضى الله عنه - كما ذكر ابن كثير فى تفسيره: «ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المسلم إلا خيراً ، وأنت تجد لها فى الخير محملاً» .

(٥) ونهى الله عن التجسس ، وهو تتبع عورات الناس ، وتفقد أحوالهم من غير داع يقتضيه ، والتدخل فى شئونهم بطريقة أو بأخرى للوقوف على محاسنهم ومساوئهم ، وما حصلوا عليه من النعم ، وما نزل بساحتهم من النقم، وهو عمل يؤدى بصاحبه إلى نسيان عيوبه وإهمال إصلاح نفسه، والاشتغال بما لا ينبغى الاشتغال به ، والوقوع فى مآزق قد لا يمكنه التخلص منها ، وفى محرجات لا يستطيع دفعها ، ويجعل الناس يتتبعون عوراته ، ويلاحقونه بأسماعهم وأبصارهم ، ويفعلون به مثل ما يفعل بهم ، وكما تدين تدان .

قال الشافعى رضى الله عنه :

إن شئت أن تحيا سليماً من الأذى ... وحظّك موفور وعرضك صيِّنُ

لسانك لا تذكر به عورة امرئ ... فكلك عورات وللناس ألسنُ

وعينك إن أبدت إليك معائباً ... فصنها وقل ياعين للناس أعينُ

وعاشرها بمعروف وسامح من اعتدى ... وفارق ولكن بالتى هى أحسنُ

ويقول الرسول ﷺ : «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» . رواه الترمذى.

(٦) ونهى الله عز وجل عن الغيبة –وهى : ذكرك أخاك بما يكره – وصور المغتاب بصورة من يأكل لحم أخيه ميتاً ، وهى صورة بشعة تدل على قبح الفعل وسوء المصير .

فاتقى الله – أيتها الأخت المسلمة –وتوبى إليه ، واعملى صالحاً والزمى السداد فى أقوالك وأفعالك ، واعملى بقول الله – تبارك وتعالى – فى سورة الأحزاب : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١)** ﴾ [**الأحزاب** : ٧٠، ٧١]

والقول السديد : هو الذى يسد مسده ، ويصيب موضعه ، ويطابق الواقع ، ولا يتجاوز الحقيقة ، ولا ينأى عن الصواب ، ولا يتأتى منه ضرر على قائله ولا على غيره.

ولا شك أن القول السديد بهذا المعنى هو من لوازم التقوى ومن أخص خصائصها؛ فلا يهلك من يهلك من الناس – فى الغالب – إلا بسبب ألسنتهم المطلقة فيما لا ينفع .

«وهل يكب الناس على وجوههم فى نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم» ،كما قال الرسول ﷺ .

والفلاح كل الفلاح فى ترك اللغو والإعراض عنه ، اقرئى قول الله – تبارك وتعالى – : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ ﴾ [المؤمنون: ١ – ٣] إلى قوله تعالى ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑩ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ⑪ ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١] تجدين أن الإعراض عن اللغو سبب من أهم أسباب الفلاح واستحقاق دخول الجنة ؛ ولأهميته ذكر بعد الخشوع فى الصلاة .

وقد جعله الله من أوصاف عباده المقربين ، فقال فى سورة الفرقان : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ⑥③ ﴾ [الفرقان: ٦٣]ثم قال : بعد آيات ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ⑦② ﴾ [الفرقان: ٧٢].

وها نحن نرى أن الله –عز وجلّ – قد ذكر الإعراض عن الجاهلين – وهم السفهاء والحمقى – عقب الوصف الأول ، وهو التواضع الجمّ الذى يخلو تماماً من العجب والرياء ؛ للدلالة على أهمية هذا الوصف الذى لا يتحلى به إلا العظماء من الرجال والنساء .

فالإعراض عن الجاهل وترك الرد على سفهه وحماقته يدل على رجاحة العقل ، ودماثة الخلق ، وطيب العنصر ، وقوة الصلة بالله .

ولأهمية الإعراض عن اللغو فى ميزان العمل الصالح كرر التنويه بشأنه بعد آيات من هذه السورة فقال : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ⑦② ﴾ [الفرقان: ٧٢] أى مروا دون أن يخوضوا مع الخائضين ، أو يكلفوا أنفسهم النظر إليهم أو السماع لما يقولون .

لكن المؤمن لا ينبغى أن يرى أناساً قد جلسوا يتحدثون فيما لا ينفعهم دون أن يعظهم ويذكرهم بالله ، ويحذرهم عاقبة التمادى فى لغطهم ، فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب على كل مستطيع .

قال تعالى فى سورة القصص : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥) ﴾ [القصص : ٥٥] .

وهو توجيه حكيم بأسلوب بليغ لا يجرح المشاعر ، ولكن ينبه العقول إلى ما ينبغى الاشتغال به ، وما يجب الإعراض عنه ، وهكذا ينبغى أن يكون أسلوب الدعاة .

والإسلام لا يكمم الأفواه ، ولكن يطلب من المسلم والمسلمة انتقاء العبارة الوافية بالغرض المطلوب ، واختيار الكلمة الطيبة العفيفة التى لا يمجها الطبع السليم ، ولا يأباها الذوق الراقي ، وأن يكتفى من الكلام الدنيوى بالقدر الذى تدعو إليه الضرورة ؛ فإن كل كلمة يتفوه بها محسوبة من عمله محصية عليه مجازى بها ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

قال تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) ﴾ [ق : ١٨]

فعليك –أيتها الفتاة المسلمة – أن تترفعى عن الثرثرة التى اعتادها من لا خلق له ولا دين ، وتشغلى أوقاتك بذكر الله تعالى ، وبما ينفعك فى دينك ودنياك .

وهذا يتطلب منك عدم الاختلاط بمن ليس على شاكلتك من النساء فى الأدب والخلق ، والرزانة والتعقل ؛ فإن الجلوس معهن والتحدث إليهن غالباً ما يؤدى إلى الوقوع فى الغلط ، ومن كثر لغطه كثر غلطه . كما يقولون .

قال رسول الله ﷺ : «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً كريهة» .

تفاخر المرأة بما ليس عندها

قد تخرج المرأة على صديقتها أو جارتها أو ضرتها فتزعم لها أن زوجها قد اشترى لها من الثياب أو الحلى كذا وكذا ، لتفخر عليها بذلك ، أو لتغيظها وتوغر صدرها على زوجها ، وتنغص عليها حياتها .

ومن هذا القبيل أن تقول لها : زوجى يعطينى مصروفاً شخصياً كذا وكذا ، أو يعطينى مصروف البيت كذا وكذا ، وتبالغ فى ذلك تفاخراً وهى لا تقدّر ما يترتب

على مبالغتها من إحراج لصديقتها أو جارتها ، وقد تكون راضية بما يعطيها زوجها من نفقة قليلة على قدر وسعه .

ومثل هذه الأكاذيب ستتحول إلى آمال فى نفسها تحاول تحقيقها بإرهاق زوجها لتوفيرها إرهاقاً ، ربما أدى إلى الشقاق ثم الفراق .

إننا نكون – دائماً – فى أسعد حال عندما نعيش واقعيين ، راضين بالواقع ، مخططين فى صمت وهدوء إلى ما هو أفضل ، وبالعمل نرقى ، لا بالخيال الكاذب المجنح .

التحية غير المشروعة

اعتاد بعض النساء أن يقلدن الأوربيات فى التحية والشكر ، والاعتذار والنداء وغير ذلك من أنواع الخطاب ؛ فنسمع إحداهن تقول للآخرى عند رؤيتها أو الدخول عليها (سعيدة) أو (بانجور مدام) ، وقد تحييها بتحية العوام فتقول لها : (صباح الخير أو مساء الخير) ، وهى تحية جاهلية ، فقد كان الرجل من العرب أو المرأة يقول : (عم صباحاً وعم مساءً) ونحو ذلك .

والمرأة المسلمة تتمسك بتحية الإسلام ولا تستبدل بها غيرها ، فتقول : (السلام عليكم ورحمة الله) لكل من تلقاه من النساء المسلمات .

ولا بأس أن تلقى السلام على الرجل– أيضاً –فى أدب وحياء ؛ لأنه نوع من العبادة ، وهو داخل فى القول المعروف الذى أُمرنَ به فى قوله تعالى : ﴿وقلن قولاً معروفاً﴾ ، وذلك ما لم تخش على نفسها الفتنة ، أو على من تلقى عليه السلام .

وإذا أرادت أن تشكر أختها فلتقل لها : (شكراً لك) أو (جازاك الله خيراً) ونحو ذلك ، ولا تقل لها مثل ما تقول الأوربيات : (مرسيه) أو (ثانك يو) مثلاً ؛ فإن تقليدهن فى ذلك عزوف عن الكلمات العربية المأثورة التى لا تخلو من ذكر الله ، ولا تخلو من دعوة تدعو بها الأخت لأختها .

وإذا نادت على أختها فليكن نداؤها بالاسم أو بالكنية أو باللقب المحمود ، ولا تقل لها: (يا مدام) أو يا (هانم) .

وهناك ألقاب نقلناها عن الغرب ينبغى العدول عنها مثل قول الطالب والطالبة لمعلمته وأستاذته : (يا أبله) أو (يا ميس) .

والأولى أن تناديها بقولها : يا أستاذة ، أو يا معلمتى ، ونحو ذلك .

ولا تنسى- أيتها الأخت المسلمة - إن حدث منك أقل خطأ لأخرى أن تقولى بصراحة : (أعتذر) .

ولا تنسى أن تقولى لمن يجرحك بنابى ألفاظه : (سلام عليكم) ، (سامحك الله) . ففى القرآن : ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا** (٦٣) ﴾[**الفرقان** : ٦٣]

مشاهد لا تليق بالمسلمة

هناك عادات سيئة تقع فيها بعض النساء كثيراً ، كأن تقحم نفسها مع الرجال فى كلام لا يعنيها، وذلك فى النوادى ووسائل النقل العام، وفى المحلات التجارية وغيرها .

أو تستوقف سيارة رجل لا تعرفه لتركب معه تقليداً لساقطات الغرب .

أو تفتح الباب لترى من الطارق دون أن تسأله من أنت حتى تتهيأ للقائه بالطريقة التى يرضاها الله ورسوله ﷺ .

أو تقابل اللبان أو الكواء أو البواب أو غيرهم من الباعة بلا احتشام ولا استحياء ، كأنه بحرفته هذه أو تلك ليس رجلاً يتميز بخصائص الرجولة ، ويشتهى ما يشتهيه الرجال من النساء ، وكان عليها أن تحتشم من هؤلاء أكثر من غيرهم ، وتحتاط لنفسها منهم ؛ فإنهم لفرط جهلهم ودناءة نفوسهم قد يطمعون فيها ويسيئون النظر إليها ، وتدفعهم الجرأة لارتكاب ما ينبغى تحاشيه قبل وقوعه .

أو تقف لتنشر «الغسيل» ، أو تقف فى الشرفة دون تحفظ ، وكأن المارة فى الشارع عمى لا يرون عورتها التى حرم الله كشفها .

أو تمضغ العلك (اللبان) أو تأكل فى الطريق العام من غير ضرورة ملحة .

والتى تلقى القمامة أمام شقتها أو شقة جارتها ، أو تلقى بها إلى الشارع ، أو تسكب الماء من شرفة بيتها دون مبالاة بالمارة أو بالآداب العامة .

والتى تقحم نفسها على ضيوف زوجها دون أن يدعوها زوجها لذلك .

والمرأة العاملة التى تودع زوجها مقطبة الجبين لتستقبل زميلها بإشراقة الصباح.

والتى ترتدى زياً إسلامياً وتسترعى انتباه المارة ضحكاتُها العالية وحركاتُها الهوجاء .

والمرأة التى تكلم جارتها فى شئونها العامة والخاصة من شرفتها بصوت يسمعه سائر الجيران ، فيعرفون عنها ما لا ينبغى أن يعرف .

وقد تسترسل فى الحديث مدة طويلة فيستاء الجيران من ذلك ، فيزدرونها ، ويبغضونها .

وقد تبيح أسرارها وأسرار زوجها وهى لا تدرى ، فيؤدى ذلك إلى ما لا يحمد عقباه، إلى غير ذلك من السلوك الخاطىء والتصرف البذىء .

وقانا الله وإياكم من اللغط والغلط ، وقول الزور ، وسفساف الأمور .

خـاتمـة

هذا ما وسعنى أن أجمعه لك - أيتها الأخت الفاضلة - فى هذا الكتاب من الأحكام الشرعية والتوجيهات النافعة ، والنصائح الغالية، والعلاج الناجع لكثير من الأدواء النفسية والاجتماعية .

وقد حرصت كل الحرص أن يكون أسلوبى سهلاً لأهل العصر على اختلاف درجاتهم فى الثقافة والفهم ، وبذلت جهدى فى التحرى والبحث ، والتزام الدقة والأمانة والموضوعية ، واختيار المادة العلمية من مصادرها الأصلية .

ولا أزعم أنى ذكرت كل ما تحتاج إليه المرأة فى أحكام دينها و أمور دنياها ، فذاك أمر عسير لا يتيسر لكاتب ، ولكنى أتيت بما تيسر لى بسطه منها فى تسعة عشر باباً ، جمعت فى طياتها ما لا غنى للمرأة عنه .

والله أسأل أن ينفع به من كتبه ومن قرأه ، ومن استمع له وأفاد منه ، ومن أسهم فى طبعه ونشره ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

تم بحمد الله

فـى : غرة شهر المحرم ١٤١٩ هـ .

الموافق: ٢٧ من إبريل ١٩٩٨م .